أسماء الله الحسنى

الباقي - الوارث -جل جلاله-

السابع والثلاثون

📝 لا يزال العبد يصيبه الهم والقلق وتضطرب نفسه حتى يستقر الإيمان بأسماء الرب -تعالى- في قلبه، فحينئذ ينشرح قلبه ويأنس بقرب ربه -سبحانه-، ويحيى حياة طيبة ويصبح لا يأنس ولا يطمأن إلا بذكر الله -تعالى- وذكر أسمائه وصفاته، فيأتيه من عظيم النعيم واللذة والسرور ما يعجز عن بيانه التعبير ويقصر عن وصفه التقرير، يقول ابن القيم: "وحقيقة الطمأنينة التي تصير بها النفس مطمئنة، أن تطمئن في باب معرفة أسمائه وصفاته ونعوت كماله إلى خبره، الذي أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله، فتتلقاه بالقبول والتسليم والإذعان وانشراح الصدر له وفرح القلب به؛ فإنه معرف من معرفات الرب -سبحانه- إلى عبده على لسان رسوله، فلا يزل القلب في أعظم القلق والاضطراب في هذا الباب؛ حتى يخالط الإيمان بأسماء الرب تعالى وصفاته وتوحيده وعلوه على عرشه وتكلمه بالوحي بشاشة قلبه، فينزل ذلك عليه نزول الماء الزلال على القلب الملتهب بالعطش؛ فيطمئن إليه ويسكن إليه ويفرح به ويلين له قلبه ومفاصله".

✉فَفِي الْقَلْبِ شَعَثٌ، لَا يَلُمُّهُ إِلَّا الْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ، وَفِيهِ وَحْشَةٌ لَا يُزِيلُهَا إِلَّا الْأُنْسُ بِهِ فِي خَلْوَتِهِ، وَفِيهِ حُزْنٌ لَا يُذْهِبُهُ إِلَّا السُّرُورُ بِمَعْرِفَتِهِ وَصِدْقِ مُعَامَلَتِهِ، وَفِيهِ قَلَقٌ لَا يُسَكِّنُهُ إِلَّا الِاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَالْفِرَارُ مِنْهُ إِلَيْهِ.

⇦وإن من أسماء الله التي ينبغي أن نتدبرها ونعي معناها وآثارها في حياتنا اسم الله "الباقي".

✉والبقاء ضد الفناء، والله هو الباقي الذى الذي لا ابتداء لوجوده، والذي لا يقبل الفناء، هو الموصوف بالبقاء الأزلي من أبد الأبد إلى أزل الأزل، فدوامه في الأزل هو القدم، ودوامه في الأبد هو البقاء، ولم يرد اسم الباقي بلفظه في القرآن الكريم، ولكن مادة البقاء وردت منسوبة إلى الله -تعالى-، قال -سبحانه-: (وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى)[طه:73]، وقال -عز وجل-: (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ)[الرحمن: 27]، قال الطبري في تفسيره: " كلّ من على ظهر الأرض من جنّ وإنس فإنه هالك، ويبقى وجه ربك يا محمد ذو الجلال والإكرام".

✉وهو الباقي بعد فناء الخلق قال -سبحانه-: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[القصص: 88]، قال ابن كثير: "هذا إِخْبَارٌ بِأَنَّهُ الدَّائِمُ الْبَاقِي الْحَيُّ الْقَيُّومُ، الَّذِي تَمُوتُ الْخَلَائِقُ وَلَا يَمُوتُ".

📃وقيل الباقي: هو الذي لا ابتداء لوجوده، ولا نهاية لوجوده، فكل شيء من الخلق له بداية وله نهاية، فالبقاء صفةٌ ذاتيةٌ خاصةٌ بالله عزَّوجل، قال تعالى: (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ) [الرحمن: 27].

وقد ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ"(رواه البخاري).

✉إن الإنسان مهما عَمِرَ في هذه الحياة فلا بد أن يموت مهما كان عنده من نعم ومال ودار وعقار، ومهما استخدم من دواء وعلاج أو ذهب لأفضل المستشفيات والأطباء، فإنه لا بد أن يفنى ويموت.

✉وإن الإنسان مهما كان عنده من ملك وسلطان وجاه ومنصب واتباع فلا بد أن يأتي يوم وينتهي ذلك كله؛ يروى أن ملكًا من الملوك بنى قصرًا وشيده وزينه، ثم إنه دعا الناس لزيارته وقال لجنوده: من عاب منه شيئًا فأصلحوه وأتوا به إليّ، فكان الناس يطوفون في هذا القصر وينظرون إلى غرفاته وشرفاته وحدائقه ونقوشه مبهورين بجماله مندهشين لروعته، فلم يجدوا عيبًا، وهكذا جماعة بعد جماعة وفوج بعد فوج، فكان حراس الملك يسألونهم: هل وجدتم عيبًا في هذا القصر قالوا: لم نجد عيبًا، ثم إنه جاء رجل في آخر الناس من بلاد بعيدة عليه آثار السفر، فطاف بالقصر ورأى ما فيه فلما هم بالخروج من ذلك القصر، سأله الجنود: هل وجدت فيه عيبا؟ فقال الرجل: لقد وجدتُ فيه عيبين، فأعلنت حالة الطوارئ وقالوا: إن الملك ما كان ليرضى بعيب واحد وأنت وجدت عيبين... وأخذ الرجل إلى الملك فسأله ما هما؟! قال: أيها الملك، العيب الأول: إن هذا القصر لا بد أن يأتي عليه يوم ويتهدم ويعتريه الخراب ويفنى، والعيب الثاني: أن صاحب هذا القصر لا بد أن يأتي عليه يومُ يموت فيه، فبكى الملك، وذكر حاله ومآله وتقصيره، وقال لمن حوله: دلوني على قصر لا يهدم ولا يموت صاحبه، قالوا: إن هذا -أيها الملك- لا يكون إلا في الجنة.

✉ودلالة ذلك أن الله هو الباقي -سبحانه وتعالى- وغيره إلى زوال، فلا يتعلق العبد بشيء من حطام الدنيا، بل يتعلق بما عند الله وما عند الله خير وأبقى، ولذلك ينادي -سبحانه- يوم القيامة: " لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟! فيقول: " لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ"، وهذا النداء حقيقة ما ينكشف للأكثرين إذ يظنون لأنفسهم ملكا، أما أرباب البصائر فإنهم مشاهدون لمعنى هذا النداء، يؤمنون بأن الملك لله الواحد القهار أزلًا وأبدًا.

✉لكن البشارة للمؤمن التقي النقي، إذا حسن عمله في الدنيا وتوفَّاه الله عزَّ وجلَّ فهو في جنَّة الخلد إلى أبد الآبدين، فبداخل الإنسان رغبة جامحة لأن يعيش طويلاً، فلا يوجد إنسان على وجه الأرض إلا ويتمنى أن يعيش، ولا يرغب في أن ينتهي أجله، وهذا شيء بالفطرة، فإذا آمن الإنسان واستقام على أمر الله وجاءته منيَّته وهو مؤمنٌ فهو في جنَّات النعيم إلى أبد الآبدين، ففي الصحيحين : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -« يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَيُقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا قَالَ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ».

✍وإذا علم العبد بأن الله هو الباقي وحده دون غيره فإن هناك آثارٌ إيمانية تتجلى في حياته وآخرته، من ذلك:

❶ألا يصرف العبد شيء من طاعاته وعبادته إلا له -سبحانه-؛ فيتقرب إليه بشتى أنواع الطاعات والعبادات، قال -تعالى-: (والباقيات الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) [الكهف:46]، فلا يبقى لنا إلا ما كان خالصاً لله، فلا نعمل لسمعة ولا لرياء، فكله يفنى إلا ما كان للباقي.

❷ومن ذلك: أن العبد إذا أدرك حقيقة الحياة وأنها فانية بما فيها من نعيم فلا يغتر بما فيها، ويعمل جاهدًا لما هو خير وأبقى عند الله، من نعيم مقيم في جنات تجري من تحتها الأنهار خالدًا

فيها أبدا؛ قال -تعالى- (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) [الأعلى: 16-17]، قال الفضيل -رحمه الله-: "لو كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى؛ لكان ينبغي لنا أن نختار خزفًا يبقى على ذهب يفنى، فكيف وقد اخترنا خزفًا يفنى على ذهب يبقى".

❸ومن الآثار الإيمانية لاسم الله "الباقي": أنه ينفث في روع المؤمن وخلده الإيمان والقوة والعزة؛ فلا يبيع دينه ولا قيمه ولا مبادئه من أجل فتات من الدنيا زائل، ولا يطلب ما عند الناس بالحرام؛ قال الله -تعالى-: (ورِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وأبقى)[طه:131].

⇦ويتوجه إلى الله في كل وقت وحين ويلجأ إليه ويرضى بما عنده، إن سحرة فرعون رغم الإغراء ثم التهديد والوعيد علموا بأن الله هو الباقي، وأن ما عند الله خير وأبقى مما عند فرعون، الذي كان يمتلك القصور والجيوش والذهب والفضة والأنهار والديار والمنصب والجاه لكنهم (قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) [طه:72-73].

✉ومن الشعارات الموروثة عن الحياة: "كما جاءت إليك فسوف تذهب إلى غيرك"، وهو تصويرٌ دقيق لحقيقة التملّك عند الخلائق، لأن المال له دورته وعجلته التي لا تتوقّف عند أحد، ومهما استوطن المال في خزائن أحدٍ من العالمين فمصيره أن يكون إلى ورثته، أما المالك الحقيقي والوارث الفعلي للسماوات والأرض فهو الله سبحانه وتعالى، ومع اسم الله الوارث.

📝 ومِن أسماء الله الحُسْنى الَّتي وردتْ في الكتاب العزيز "الوارث"، وقد ورد اسم الله الوارث في ثلاث آيات في كتاب الله، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر:23]، وقال تعالى عن نبيّ الله زكريَّا: ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء:89]، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص:58].

✉الوارث، فهو اسم من أسماء الله عز وجل، يدلّ على بقائه وديمومته، فهو يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، أي يبقى بعد فناء الكل، ويفنى من سواه فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لا شريك له.

📃قال الزجَّاج: "الوارثُ كلّ باقٍ بعد ذاهبٍ فهو وارث".

📃وقال الحليمي: "الوارث معناه الباقي بعد ذهاب غيره".

📃قال ابن جرير رحِمه الله: في قوله " نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا"؛ بأن نُميتَ جميعَهم فلا يبقى حيّ سوانا إذا جاء ذلك الأجل".

📃وقال الزَّجَّاجي: "الله عزَّ وجلَّ وارث الخلْق أجمعين؛ لأنَّه الباقي بعدهم وهم الفانون، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم:40]".

📃يقول ابن الأثير: "الوارث: هو الذي يرث الخلائق، ويبقى بعد فنائهم".

📃وقال الخطابي "الوارث": هو الباقي بعد فناء الخلق، والمسترد أملاكهم وموارثهم بعد موتهم، ولم يزل الله باقيًا مالكًا لأصول الأشياء كلها، يورثها من يشاء ويستخلف فيها من أحب".

📄يقول أبو السعود: في تفسير قوله -تعالى-: (وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ)[الحجر:23]؛ أي: الباقون بعد فناء الخلق قاطبة، المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك، الحاكمون في الكل أولاً وآخراً، وليس لهم إلا التصرف الصوري والملك المجازي.

📄ويقول الإمام البغوي عند تفسير قول الله -تعالى-: (وزكريا إذ نادى ربه رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ)[الأنبياء: 89]؛ "أثنى على الله بأنه الباقي بعد فناء الخلق، وأنه أفضل من بقي حياً".

📄ويقول الإمام الطبري في بيان معنى قوله -تعالى-: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ)[القصص:58]؛ ولم يكن لما خّربنا من مساكنهم منهم وارث، وعادت كما كانت قبل سكناهم فيها، لا مالك لها إلا الله، الذي له ميراث السماوات والأرض".

✉أي أنه – سبحانه – الوارث للعباد حيث يميتهم – سبحانه – ويرجعهم إليه، ويرجع إليه جميع ما متعهم به من النعم ثم يعيدهم إليه ليجازي كلاً منهم بعمله، وفى ذلك اليوم ينكشف للناس الغطاء وتذهب أوهام من تعلقت قلوبهم بالدنيا وظنوا أنهم باقون فيها، وأن ملكهم فيها سيبقى وأنهم إلى الله لا يرجعون، فيوقنون حينئذ أن المُلك لله الواحد القهار، وأنه – سبحانه – الوارث لديارهم وأموالهم.

✉وفى هذا تنبيه لمن ألهتهم الدنيا وشغلتهم عما خلقوا لأجله وأوجدوا لتحقيقه، أن الدنيا وما فيها من أولها إلى آخرها ستذهب عن أهلها ويذهبون عنها، وسيرث الله – عز وجل – الأرض ومن عليها ويرجعهم إليه فيجازيهم بما عملوا فيها.

📌إن لكل اسم من أسماء الله دلالة تزيد في الإيمان واليقين، وتورث صاحبها السعادة والرضا، واسم الله "الوارث" له دلالات عظيمة وآثاراً في حياة العباد، تظهر في إيمانهم وسلوكياتهم وأخلاقهم، ومن ذلك:

❶-أن اسم الله الوارث يبين عظمة الرب -سبحانه- وأنه -عز وجل- مالك الملك ووارثه والمتصرف فيه، وأن كل شيء دونه إلى فناء، إلى جانب أنه يكشف حقيقة التملك عند الخلائق، فملكهم إلى زوال، وهو ملكٌ ناقصٌ ولحظيّ غير دائم، ناقصٌ من ناحية الكمّ إذ يبقى محدوداً بما وهبه الله، ومن ناحية القدرة على التصرّف شرعاً وقدراً، ولحظيٌّ مآله إلى زوال ثم يتركه إلى ورثته، بينما نجد أن ملك الله شاملٌ وكاملٌ لا يعتريه نقص، وباقٍ دائم لا يعتريه زوال، فهو الوارث على جهة الشمول والكمال، وهذا يجعلنا نستحضر عظمة الله -سبحانه- وأنه الوارث لكل شيء.

✉خرج هارون الرشيد يوماً في رحلة صيد فمرّ برجل يقال له: بُهلول، قد اعتزل الناس وعاش وحيداً، فقال هارون: عظني يا بُهلول قال: يا أمير المؤمنين! أين آباؤك وأجدادك من لدن رسول الله - ﷺ - إلى أبيك؟، قال هارون: ماتوا، قال: فأين قصورهم؟ قال: تلك قصورهم، قال: وأين قبورهم؟ قال: هذه قبورهم، فقال بُهلول: تلك قصورهم، وهذه قبورهم، فما نفعتهم قصورهم في قبورهم؟ قال: صدقت، زدني يا بهلول، قال: أما قصورك في الدنيا فواسعة فليت قبرك بعد الموت يتسع، فبكى هارون، وقال: زدني فقال: يا أمير المؤمنين! قد ولاك الله فلا يرى منك تقصير ولا تفريط فزاد بكاءه، وقال: زدني يا بهلول، فقال: يا أمير المؤمنين: هب أنك ملكت كنوز كسرى *** وعُمرت السنين فكان ماذا؟ أليس القبر غاية كل حيٍ *** وتُسأل بعده عن كل هذا؟ قال: بلى، ثم رجع هارون ولم يكمل رحلة الصيد تلك، وانطرح على فراشه مريضاً،

ولم تمضِ عليه أيام حتى نزل به الموت، وترك ملك كان يمتد من الصين شرقاً إلى جبال البرنس في فرنسا غرباً.

كل مخلوق يمـــوت ولا يبقى إلا ذو العزة والـــــجبروت

قال الشاعر:

والليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر

وكــل ابن أنثى وإن طـــالت سلامتــه يوماً على آلة حـــدباء محمول

فـــإذا حملـت إلى القبــور جنــازة فاعلم أنـــــك بعدها محمول

❷ومن ذلك: أنَّ الله -تعالى- هو الوارِث، الَّذي يُورث الأرْضَ مَن يَشاء من عباده، قال -تعالى- عن نبيّ الله موسى وهو يُخاطب قومَه: (اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)[الأعراف:128].

وقال -تعالى-: عن فرْعون وقومِه لمَّا عصَوُا الله وخالفوا أمره: (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ)[الدخان: 25 - 28]، وقال - سبحانه - عن بني إسرائيل: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)[القصص:5].

⇦فالأرض لله والملك لله يورث كل ذلك من شاء من عباده إذا أدوا ما عليهم من واجبات العبودية تجاه ربهم، قال -تعالى-: (وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)[الأحزاب 27].

⇦فالإرث الحقيقي الباقي هناك في الجنة، ويكون على قدر الاجتهاد في الطاعة وترك المعصية، فإرث المحسنين ليس كإرث المسيئين المفرطين، قال -تعالى-: (وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[الأعراف:43].

❸- التحلي بصفة اسم الله الوارث ينبغي على العبد التحلي بصفة اسم الله الوارث، بحيث يحب أن يتقي الله فيما يدع من مال بين أيدي الأبناء سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا، وأن يشعر أن الذي بين يديه ليس له، بل هو صائر إلى غيره وهو مستخلف فيه، وعلى العبد أن يُحافظ على الأمانة لأنها امتحان في هذه الدنيا، وهذه الأمانة يُمكن أن تكون مال أو منصب معين أو عقار.

❹- واليقين أن الإرث الحقيقي هو العلم والأدب، ومن يمتلك الحِكمة والعمل ومعرفة الله تعالى ومخافته يُسمى وارث مُحمدي أي ورث العلم والتقوى من النبي مُحمد -عليه الصلاة والسلام-.

⇦ويؤكد على ذلك دعوة زكريا عليه السَّلام ربَّه أن يهبَه وارثاً للعلم، يحمل هم الدين وإعلاء كلمة التوحيد، قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: 89]؛ قال السعدي: أنه لما تقارب أجله، خاف أن لا يقوم أحد بعده مقامه في الدعوة إلى الله، والنصح لعباد الله.

❺- والعبد المتيقن بأن الله تعالى هو الوارث، يؤمن بأن الله تعالى هو مُقسم الأرزاق، فيرضى عن الله في المنع والعطاء، ولا يحسد ولا يحقد، لعلمه بزوال الملك والمالك.

❻- الله جلَّ شأنه هو الباقي بعد فناء خلْقِه، الحيّ الَّذي لا يَموت، الدَّائم الذي لا ينقطع، وإليْه مرجع كلّ شيء ومصيره، فإذا مات جَميع الخلائق وزال عنْهم ملكُهم، كان الله تعالى هو الباقي الحقّ، المالك لكلّ المملوكات وحده، وهو القائل: ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ [غافر:16]، فيُجيب سبحانه نفسه: ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر:16]، وقال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: 26، 27]، وقال سبحانه: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص:88].

❼- بيَّن الله تعالى لعباده أنَّه هو الوارث لِما أهْلك من القرى الظَّالمة، الَّتي كانت تعِيش في أمْنٍ ودَعة ورغْد العيْش، حتَّى أصابَهم الأشَر والبطَر، فلم يقوموا بحقّ النِّعْمة، ولم يَشكروا ربَّهم الَّذي وهبهم، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص:58].

فقوله تعالى: ﴿لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً﴾؛ أي: إلاَّ زمانًا قليلاً؛ إذ لا يسكنُها إلاَّ المارَّة يومًا أو بعْض يوم، وبقِيت شاهدةً على مصْرع أهلها وفنائِهم، وعِبرةً لِمَن كان له قلبٌ أوْ ألْقى السَّمع وهو شهيد.

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾؛ أي: منْهم؛ إذ لَم يَخْلُفهم أحدٌ يتصرَّف تصرُّفهم في ديارهم وأموالهم، بل كان الله وحده الوارثَ لدِيارهم وأموالهم.

قال أبو البقاء:

أَيْنَ المُلُوكُ ذَوُو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ *** وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وَتِيجَانُ؟

وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَّادُ فِي إِرَمٍ؟ *** وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الفُرْسِ سَاسَانُ؟

وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبٍ *** وَأَيْنَ عَادٌ وَشَدَّادٌ وَقَحْطَانُ؟

أَتَى عَلَى الكُلِّ أَمْرٌ لا مَرَدَّ لَهُ *** حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ القَوْمَ مَا كَانُوا

وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مَلِكٍ *** كَمَا حَكَى عَنْ خَيَالِ الطَّيْفِ وَسْنَانُ

❽- حثَّ الله عبادَه المؤمنين على النَّفقة في سبيلِه، وذكَّرهم أنَّهم مستَخْلفون فيما عندهم من الأمْوال لا يَملكونَها حقيقة؛ وإنَّما المالُ مال الله، قال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد:7]، وَكَوْنُ الْمُؤْمِنِ مُسْتَخْلَفًا وَذَاهِبًا إِلَى رَبِّهِ؛ فَمِنْ كَرَمِ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ أَمَرَهُ بِالْإِنْفَاقِ مِمَّا وَهَبَهُ اللَّهُ لَهُ؛ مَعَ أَنَّهُ مِنْ خَالِصِ مُلْكِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وَالْعَبْدُ مُسْتَخْلَفٌ، ثُمَّ وَعَدَهُ بِالْأَجْرِ الْكَبِيرِ.

✉استنهاض الهمم في مجالات الخير، لاسيما الإنفاق في سبيل الله، انطلاقاً من الإدراك العميق بأن ما بين أيدينا من الأموال إنما هي ودائع، استخلفنا الله -تعالى- عليها لينظر كيف سنتصرّف فيها ونتعامل بها: وما المال والأهلون إلا ودائع *** ولابد يوماً أن تردّ الودائع، فهو ترغيبٌ في إنفاق المال في وجوه الخير، وعدم البخل به واكتنازه.

✉وَالْمُؤْمِنُ يَعْلَمُ أَنَّ يَدَهُ يَدُ أَمَانَةٍ؛ فَالْبَيْتُ مُؤَقَّتٌ، وَالدَّابَّةُ مُؤَقَّتَةٌ، وَالْمَتْجَرُ مُؤَقَّتٌ، وَالْمَالُ مُؤَقَّتٌ، فَكُلُّ شَيْءٍ يَدُهُ عَلَيْهِ يَدُ أَمَانَةٍ، يَدُ اسْتِخْلَافٍ، وَاللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يَنْظُرُ كَيْفَ يَعْمَلُ، ثُمَّ هَذَا كُلُّهُ يَعُودُ إِلَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-؛ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَالِكُ الْحَقِيقِيُّ، وَالدُّنْيَا زَائِلَةٌ، وَالْعَبْدُ فِيهَا إِلَى زَوَالٍ.

صَحَّ عَنْهُ – ﷺ– أَنَّهُ قَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟! مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا"(حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

وقال–ﷺ–: " يقولُ العَبْدُ: مالِي، مالِي، إنَّما له مِن مالِهِ ثَلاثٌ: ما أكَلَ فأفْنَى، أوْ لَبِسَ فأبْلَى، أوْ أعْطَى فاقْتَنَى، وما سِوَى ذلكَ فَهو ذاهِبٌ، وتارِكُهُ لِلنَّاسِ". صحيح مسلم، الباقيةُ هي الثالثة: وَهِيَ قَوْلُه: (أَعْطَى فاقْتَنَى)، أي: أعطى اللهُ تَعالى وتَصدَّقَ به فَادَّخرَ ثَوابَه عند ربه، فَالْمُلْكُ الْحَقِيقِيُّ مَا ادَّخَرَهُ الْعَبْدُ لِيَوْمِ الْمِيعَادِ

✉هذا عثمان رضي الله عنه في عام الرمادة وقد أشتد بالمسلمين الفقر والجوع جاءت تجارته من الشام ألف بعير محملة بالتمر والزيت والزبيب فجاءه تجار المدينة وقالوا له تبيعنا ونزيدك الدرهم درهمين؟ فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لهم لقد بعتها بأكثر من هذا، فقالوا نزيدك الدرهم بخمسة؟ فقال لهم عثمان رضي الله عنه لقد زادني غيركم الدرهم بعشرة: فقالوا له فمن الذي زادك؟ وليس في المدينة تجار غيرنا؟ فقال لهم عثمان رضي الله عنه لقد بعتها لله ولرسوله فهي لفقراء المسلمين، الله أكبر ... ماذا لو لم يكن يحمل بين جوانحه ضمير المؤمن الحي وعنده عقيدة بأن الوارث هو الله وأن ما عند الله خير وأبقى لكانت هذه الفرصة لا تعوض ليربح أموال طائلة ومكاسب كبيرة في نظر كثير من الناس الذين لا يعقلون بأن كل شيء بذهب ويرحل ويبقى الوارث سبحانه يجازي عباده.

❾-الثبات على الحق وعدم اليأس من انتفاش الباطل وسطوته، أو الحزن من تسلّط أعداء االدين والمتآمرين على شريعة الله؛ فإنهم مهما طغوا وتجبّروا، وعتوا عما نهوا عنه، وتنكّبوا عن سبيل الحق، واجتهدوا في عداوة الصالحين ومحاربتهم بشتّى الوسائل؛ فإن مصيرهم إلى زوال، وليس لهم إلا ذلك النطاق الزمني اليسير؛ ليستكبروا بغير الحق، ويتحكّموا في رقاب الناس، ثم يرث الله -عز وجل- الأرض ومن عليها وإليه يُرجعون.

⇦والعاقبة للمتقين، وما على المؤمنين سوى الاستعانة بالله -جلّ وعلا- والتوكّل عليه، وهذا هو عين ما دعا إليه موسى -عليه السلام- حين خاف أتباعه من بطش فرعون وقومه:(قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [الأعراف:128].

❿-ومن ذلك: أن النصر مع الصبر، وأن التمكين مع الثبات، وأن العطاء الجميل لا يكون إلا من ملك متصرف وارث لكل شيء، قال -تعالى-: (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ)[الأعراف: 137].

❶❶- ومن ذلك: كتابه – عز وجل – هو كتاب الهداية والعز والفلاح يورثه – سبحانه – من اصطفاهم لمنته واجتباهم لكرامته، قال تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) [فاطر: 32] ، فكلهم قد اصطفاهم الله لوراثة هذا الكتاب ، وإن تفاوتت مراتبهم وتمايزت أحوالهم ، فلكل منهم قسط ونصيب من وراثته.

❷❶- ومن ذلك: الجنة دار كرامته يورثها من يشاء من عباده كما قال تعالى في غير ما آية :(وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[الزخرف : 72]، جعل الجنَّة ثوابًا للمتَّقين، وهو يُورثهم إيَّاها، قال تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:43]، وقال سبحانه: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم:63]، وقال تعالى عن

المؤْمِنين بعدما ذكر بعضًا من صفاتِهم: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: 10، 11].

قال تعالى: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)[الزمر:74] وتأويلها كما ذكر الإمام ابن جرير الطبري، أن الله عز وجل قد جعل أرض الجنة التي كانت لأهل النار -لو كانوا أطاعوا الله في الدنيا فدخلوها- ميراثا لنا عنهم.

وكان من دعاء النبي - ﷺ -: "اللَّهمَّ متِّعني بسَمعي وبصَري واجعَلهما الوارثَ منِّي" صحيح الترمذي، والمقصود بأنه أراد بقاءهما وقوتهما عند الكبر وانحلال القوى النفسانية، فيكون السمع والبصر وارثي سائر القوى، والباقيِيْن بعدها، وهذا المعنى هو الذي ذكره شرّاح الحديث كالإمام ابن الأثير.

"الوارثَ منِّي"، أي: أبقِهما صَحيحَينِ سَليمَينِ إلى وَقتِ الموتِ، وقيل: أراد إبقاءَ قوَّتِهما، فيَرِثان كلَّ قوَّةٍ تَضعُفُ عندَ الكِبَرِ. الدرر السنية

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْوَارِثِ أَنْ تُمَتِّعَنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا، وَتَجْعَلَهَا الْوَارِثَ مِنَّا.

اللهم اجعلنا ممن يرثون الأرض ويعمرونها بطاعتك واجعلنا من ورثة جنتك مع الصالحين من عبادك.

المراجع:

❶اسم الله الوارث: ملتقى الخطباء - الفريق العلمي.

❷شرح اسم الله الوارث: د. أمين بن عبد الله الشقاوي.

❸اسم الله الباقي: ملتقى الخطباء - الفريق العلمي.

❹الوارث -جل جلاله-: د عبد الله بن مشبب القحطاني.